صدى سقوط الخلافة العثمانية في الكتابات الجزائرية 1973.1900م

Algerian writings interacting with the abolition of the Ottoman1900-1973 AD

وردة عي *

جامعة الوادي

Aya-ouarda@univ-eloued.dz

عثمان زقب

جامعة الوادي

atmane-zegueb@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/15 تاريخ القبول 2023/04/14 تاريخ النشر 2023/05/14

ملخص:

يعالج هذا المقال موضوع سقوط الخلافة العثمانية وصداه لدى الجزائريين من خلال كتاباتهم، حيث تعتبر الكتابة أهم وسيلة للتعبير عن الآراء والمواقف في زمن الحدث أو لتحليل واستقراء الأحداث والاستشراف بالنتائج والتحذير من الوخيم منها، وللجزائريين كتاباتهم في هذه القضية حيث عبروا بمختلف ألوان الكتابة عن الخلافة العثمانية وسقوطها ومآل الأمة الإسلامية والعربية بعدها.

الكلمات المفتاحية: الخلافة العثمانية؛ الكتابة؛ النخبة؛ سقوط الخلافة؛ الكتابات.

* المؤلف المراسل

Abstract:

This article deals with the issue of the fall of the Ottoman Caliphate and its resonance with the Algerians through their writings, as writing is considered the most important means of expressing opinions and positions at the time of the event or for analyzing and extrapolating the events and anticipating the results and warning against the dire ones. And its fall and the fate of the Islamic and Arab nation after it.

key words: Ottoman Caliphate; Writing; elite; fall of the caliphate; writings.

مقدّمة:

رغم تطور وسائل التواصل وحفظ بيانات وإرث الإنسان إلا أنه لم يتخل عن فعل الكتابة في التعبير عن مشاعره وتحليل واستنتاج واقعه وتأريخ زمنه وحتى تغيير آراء جماعات وتصحيح مسارهم أو للتواصل مع أجيال قادمة من خلال الكتب وغيرها، كما اهتم الباحثون بالمصادر المكتوبة لتحليل وتوثيق وتأريخ الكثير من الأحداث والوقائع والقضايا والمسائل والتي لا تزال بعضها رهن صراعات دولية حولها بسبب تحريف في الحقيقة أو تجاهل أصحاب الحق لتاريخهم، ومن بين هذه المسائل التي كانت بداية لسلسلة من الانهيارات هي مسألة إلغاء الخلافة العثمانية بداية الربع الثاني من القرن العشرين للميلاد حيث حركت ظروف الدولة العثمانية الكثير من الأقلام عالميا بين مهلل و متأسف ولم تكن الجزائر بمعزل عن التفاعل مع هذه المسألة رغم شراسة الاستعمار الذي كانت بين أنيابه وسياساته المكبلة لحرية الإنسان وفكره وتنقله فنطرح في هذا الصدد: كيف كان صدى سقوط الخلافة العثمانية في الكتابات الجزائرية 1973.1900م؟ كما نتساءل: ما أوضاع الدولة العثمانية بداية القرن العشرين وما علاقة الجزائريين بها؟ هل تابع المفكرون الجزائريون أوضاع الخلافة العثمانية؟ ما الذي تميزت به كتابات النخبة الجزائرية في قضية الخلافة العثمانية؟ هل كانت للإدارة الاستعمارية الفرنسية ممارسات على كتابات النخبة الجزائرية؟

تكمن غاية هذا المقال في تقديم كتابات الجزائريين المختلفة التي تمثل صدى مكتوب لصوت النخبة في الجزائر من إلغاء الخلافة العثمانية.

حدود البحث بين فترة 1973.1900م وهي من بداية اليقظة الفكرية في الجزائر وازدهار الكتابات وبروز شخصيات فكرية جزائرية أنتجت مختلف الأعمال الأدبية إلى غاية انتهاء أحمد توفيق المدني من كتابة الجزء الأول من مذكراته الشخصية حول فترة 1925.1905م في تونس وذلك سنة 1973م.

لكي نقوم بمعالجة هذا اشكال هذا البحث سنعتمد على المنهج التاريخي كونه منهج ملم بالتحليل والاسترجاع والاستنباط، على أمل إنارة جزء مهم من تاريخ الجزائر المعاصر وهو صدى إلغاء الخلافة العثمانية في كتابات الجزائريين 1973.1900م والتي نرى أنها لم تأخذ نصيبها من الدراسة لأن العديد من الشخصيات التي سنعرضها في هذا المقال شخصيات سال عليها الكثير من الحبر في جوانب ضيقة مع أنها كتبت وتفاعلت مع الكثير من القضايا والمسائل ولم يكتفوا فقط بأحداثهم الداخلية.

سنعرج في هذا المقال عن أزمة الخلافة العثمانية في القرن العشرين ثم إلى علاقة الجزائريين بالخلافة العثمانية، كما سنعرض مقتطفات من مقالات الصحافة الجزائرية وندرس أفكار أصحابها ومواقفهم مع الأخذ بظروف كتابتهم كما سنتطرق لمقتطفات من كتابات أحمد توفيق المدني و مصالي الحاج في المذكرات الشخصية ونستخرج آراءهما حول الخلافة العثمانية، كما قدمنا نماذجا من الشعر الجزائري الذي كان موضوعه الخلافة العثمانية وأوضاعها المزرية.

أولا: الخلافة العثمانية وعلاقة الجزائريين بها مطلع القرن 20م

سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين الأول لمسار الخلافة العثمانية في آخر أيامها خاصة بعد انتصار كمال أتارتورك ثم سنتجه في المطلب الثاني إلى الجزائر لنرى علاقة الجزائريين بالخلافة العثمانية.

1. الخلافة العثمانية وإلغائها:

كان القرن العشرين قرن انفجار الصراعات الدولية فمنتصفه الأول حاز على حربين عالميتين وملايين القتلى (37 مليون نسمة في الحرب العالمية الأولى و 60 مليون نسمة في الحرب العالمية الثانية) ناهيك عن سقوط دول بأكملها وتغير موازين القوى، وكانت الدولة العثمانية تلفظ آخر أنفاسها بداية القرن العشرين فمشاكلها الداخلية تتفاقم وشراسة أعدائها تتزايد من الداخل والخارج.

دخلت الدولة العثمانية أزمات سياسية كثيرة واضمحلت مساحتها وهيبتها تدريجيا بعد أن وطأ الاستعمار الأوربي على معظم ولاياتها وكان السبب الذي قسم ظهر الرجل المريض ـ كما يتم وصف الدولة العثمانية تلك المرحلة[1] ـ هي سقطة بفعل أحد أبنائها وهو مصطفى كمال أتاتورك الذي وصل إلى مكان لم يصله أحد غير العثمانيين في تركيا وأصبح لديه جمهوره ومؤيدوه من المتبنين للفكر فقلّص من صلاحيات الخليفة وتدريجيا فصل السلطة عن الخلافة وإثر الأحداث المتصاعدة تنازل السلطان وحيد الدين عن العرش سنة 1922م ومن ثم نُصّب الأمير عبد المجيد خليفة للمسلمين ذات السنة يوم 18 نوفمبر[2]، ولقد قدم مصطفى كمال موقفه قائلا: "كل الاحتياطات التي اتخذناها تنحصر في أمر واحد، وهو اصداعنا بسيادة الشعب...إن الدولة التركية اليوم تشبه الجمهورية... تذكروا تاريخنا ترون أن أسعد عصورنا كانت العصور التي لم يمكن فيها ملوكنا..." مضيفا: "...وقد أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أتباعه أن يدخلوا شعوب العالم بأسره في الدين الإسلامي، لكنه لم يأمرهم، بإيجاد حكومة لهذه الشعوب...والخلافة تدل على الإدارة وتسيير الأمور...لقد أبقينا الخليفة احتراما لتقاليد عتيقة ومحترمة، وكفيناه وأسرته مئونة ما يحتاجون..."

وقد كان للإعلام والدعاية دورا هاما في مغالطة الرأي العام الإسلامي، الذي اعتبر انهزام اليونانيين، هو فتح إسلامي مبين، وانخدع المسلمون "بمصطفى كمال" واستيقظ

الأمل في قلوبهم وتعلقت أفئدتهم به، حتى مدحوه بالقصائد الشعرية، فالشاعر" أحمد شوقي" يشبهه بسيف الله المسلول "خالد بن الوليد" رضي الله عنه، ثم يجعله في مكانة "صلاح الدين الأيوبي" واحدة، كما يجعل انتصاره على اليونان مثل انتصارات المسلمين في معركة بدر في عهد النبوة.[3]

دخلت الخلافة عدة أزمات نختصرها في:

- معاهدة لوزان في 24 جويلية1923م
- إعلان جمهورية تركيا في 30 أكتوبر 1923م
- إلغاء الخلافة في 01 جانفي 1924م: في اجتماع يخطب فيه أتاتورك سنويا قدم فيه اقتراح إلغاء الخلافة في الآستانة وطرد الخليفة عبد المجيد ومحو آثار الخلافة ومظاهر الخلافة في الآستانة.[4]

2. علاقة الجزائريين بالخلافة العثمانية :

باحتلال الجزائر وبتساقط مدنها بداية 05 جويلية1830م انتهى عهد العثمانيين وظل الارتباط الروحي معها كونها رمزا للخلافة و الإسلام، رغم عجز العثمانيين على نجدة الجزائر ظل معظم الجزائريون يعيدون الوصل معها وطلب نجدتها في كل المناسبات المتاحة، فبعد أن أطلق نابليون الثالث سراح الأمير عبد القادر في 08 جانفي 1853م والسماح له بالرحيل إلى الأستانة قام السلطان عبد المجيد الثاني[5] باستقباله وهذا ما جعل الأمير عبد القادر يلقي عليه قصيدة ومما جاء فيها:

عبد المجيد ،حوى مجدا ،وعز علا وجل قدرا ، كما قد عم أنوالا
كهف الخلافة ،كافيها وكافلها وما عهدنا له في القرن أمثالا
أهدي مديحي،وحمدي— ما حييت— له أفادني أنعما جلت، وإقبالا[6]

كما أن التسميات في الجزائر استمر ارتباطها وتيمنها بتركيا: تركية، تركي، عبد المجيد، هذا بسبب الارتباط الروحي والعاطفي بالعثمانيين[7] كما كتب قدور بن رويلة كاتب

الأمير عبد القادر قصيدة يدع فيها الله بأن ينصر العثمانيين في حرب القرم، ومما جاء فيها:

يارب أيد بروح القدس ،ملجأنا   عبد المجيد ،ولا تبقيه حيرانا[8]

كما ظلت مشاعر الوصال بين الجزائريين مع الدولة العثمانية متواصلا حتى في الحرب العالمية الأولى فقد عملت الدولة العثمانية مع ألمانيا على مشروع للدعاية لتغذي فكرة أن عدو العدو صديق هذا ناهيك عن الارتباط الروحي والعاطفي مع الدولة العثمانية وقد قامت هذه الأخيرة بتكليف محام تونسي يدعى علي باشا حامبة للدعاية في تونس والجزائر بشأن الوقوف مع ألمانيا والدولة العثمانية إلا أن فرنسا تصدت لهم[9] كما

كما كان للجرائد دورا في تواصل الأمل بالعواطف رغم منع الصحافة العثمانية في الجزائر وتونس من قبل السلطات الاستعمارية.[10]

ثانيا كتابة المذكرات الشخصية:

إن كاتب المذكرات يساهم في تاريخ عصره أكثر من تاريخه الخاص: فتاريخه الشخصي يندمج في التاريخ العام الموضوعي أما مؤلف السيرة الذاتية فإنه يمنح الأسبقية للمجال الخاص، والتذكر عنده هو بعث معنى ماض ما ينتمي إلى إليه في ذاته وسيختفي باختفائه

وفي تعريف آخر تعد المذكرات جنسا تاريخيا يحكي فيه الكاتب وقائع الحياة العامة التي كان شاهدا عليها، أو كان له فيها دور ما. وغالبا ما تكون الأهمية التي أعطيت للأحداث والتاريخ في هذه الكتابات أكثر من الأهمية التي تعطي لشخصية الكاتب: فكاتب المذكرات هو شخص قام بدور مميز في التاريخ، أو أتيحت له عادة الفرصة لكي يشاهد عن كثب التاريخ في صنعه[11]، هذا ما سنعالجه في هذا المبحث حيث سنقدم لمحة تاريخية عن كتابة المذكرات الشخصية لتحليل سبب توجه النخبة رغم قلتهم في كتابة المذكرات الشخصية ومن بينهم أحمد توفيق المدني الذي تميز في كتابة مذكراته التي كتبها

في زمن الكثير من الأحداث الهامة من بينها أحداث العا لم وإلغاء الخلافة ومذكرات مصالي الحاج الذي عاصر شبابه انتصارات مصطفى كمال.

1. لمحة تاريخية حول المذكرات الشخصية

بدأ تاريخ المذكرات من أرض الجزائر فتاريخ كتابة المذكرات بدأ مع القديس سانت أوغسطين[12] والذي كتب ثلاثة عشر كتابا قدم فيها اعترافات تختلف عن الاعتراف بالذنوب في الكنيسة لدى المسيحيين بل كانت أعمق من ذلك فهي تعتبر شهادة إنسان بلغ الصدق مع نفسه ومع وجوده فحطم قيود الحياء البشري وكبرياء الإنسان وحب ذاته وأنانيته.[13]

تميَّز الفرنسيون بهذا الفن الأدبي بدءا من الدوق دي سان سيمون (de Saint-Simon)، السياسي شاتو بريان (Chateaubriand)، ومع الزمن تبلور هذا الفن وأصبحا جنسا أدبيا مستقلا على يد جان جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau) في كتاب اعترافات، كما شاعت المذكرات والسير في الحروب ولعل أشهرها مذكرات كفاحي لأدولف هتلر (Adolf Hitler).[14]

عرف العرب كتابة السير مع السيرة النبوية للمسلمين، وتبلورت مع النهضة العربية فكانت المذكرات معظمها بأقلام مصرية بداية بمذكرات (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) وغيرها من المذكرات لأدباء عرب: عباس محمود العقاد، طه حسين، أحمد أمين، كما عرفت الجزائر هذا الفن فنجاة مذكرات الشريف الزاهري منذ فترة العثمانيين في الجزائر[15] هي ضربة حظ نظرا للكم الكبير من الموروث المكتوب الذي أتلف بسبب الاستعمار أو سرقه المستشرقون والحملات العسكرية أو هجره أهله بسبب جهلهم بقيمته أو ظروفهم القاسية وأحمد توفيق المدني هو من الذين كتبوا مذكراتهم وكان لهم الفضل في التأريخ لمرحلة هامة من تاريخ الجزائر كونه شخصية لها قيمتها ووزنها التاريخي ورغم كل ما فعله

في تسجيل فعاليته في التاريخ الوطني والعربي و الإسلامي إلا أنه فكر أيضا في تدوين مذكراته.

2. مشاعر الجزائريين تجاه الدولة العثمانية والأتراك:

1.1. مذكرات أحمد توفيق المدني:

يذكر أحمد في مذكراته (حياة كفاح) على أنه تربى داخل مجتمع يولي العثمانيين مكانة فطالما رددت النسوة في عائلاته أغانٍ ممجدة للسلطان العثماني يذكر منها:

حُسنُ الوفَا من طبعِنا   والحمد للرب المجيد

ثُمَّ الدعاءِ بالنصر لـ   سلطاننا عبد الحميد [16]

وبعد نفي السلطان وإعلان الدستور يصور أحمد توفيق المدني وضع عائلته الذي انقسم بين مرحب وسعيد وباكي حزين لحال المسلمين، فأخوال توفيق المدني وجدوا أن الدستور سيساوي بين الناس ويعيد للدولة شبابها أما والده فقد شعر بالريبة من جماعة الاتحاد والترقي وبعد أن منع السلطان عبد الحميد هذا الدستور لأنه يساويهم مع الأقليات التي تريد حكم المسلمين والسير بهم إلى الهلاك. [17]

كان من رأي توفيق المدني أن فصل الخلافة عن السلطة هو لصالح المسلمين بحيث أن السلطان سيمارس سلطته الروحية على كافة المسلمين ويستقل عن حكم تركيا كدولة علمانية فبادر توفيق المدني إلى تكوين: لجنة الخلافة بتونس متكونة من: الحبيب مزيو، محيي الدين القليبي، عثمان الكعاك ...

بعد أن تم إبعاد السلطان عبد المجيد وقررت تركيا بأن تعزل الخليفة عن السلطة وتم إلغاء الخلافة نهائيا فسارع أحمد توفيق المدني بمراسلة ممثل تركيا بباريس حسن راغب أعرب فيها عن حسرته وألمه وأن التونسيين. بحكم أن أحمد توفيق المدني يعيش حتى هذه السنة بتونس. يحتجون لهذا الظلم وأنهم نقضوا عهدهم بحماية الخلافة والخليفة. [18]

كتب أحمد توفيق المدني عدة برقيات إلى السلطان عبد الحميد كرئيس للجنة الخلافة قدم فيها معايدات، كما راسل الخليفة عبد المجيد وتلقى الرد منه على معايدته وكان لذلك فرحة عارمة في حياة أحمد توفيق المدني[19] .

اتفق أحمد توفيق المدني مع الخليفة عبد المجيد على تكوين مجلس خلافة بمكان يتم الاتفاق عليه لاحقا يضم خمسين عالما من مختلف المذاهب الإسلامية لدراسة مشاكل العالم الإسلامي وظلت هذه المراسلات متواصلة مؤكدة الارتباط الروحي القومي بينه وبين العثمانيين إلى أن توفي الخليفة سنة 1944م ولم يتحقق مشروع أحمد توفيق المدني.[20]

1.2. مذكرات مصالي الحاج:

يقول مصالي الحاج: " أثناء الأشهر الأولى من سنة 1921 عادت العائلات المهاجرة بين 1910و 1911م للاحتجاج ضد الخدمة العسكرية، كان هؤلاء محروسين من طرف الشرطة إلا أن ذلك لم يمنعهم من التحدث عن سحر الشرق وعن القوة المعنوية لتركيا وعن نهوض العالم العربي... كان هؤلاء ينتمون إلى عائلات تلمسانية تقريبا ودون أن يشعروا كانوا ينشرون الأمل في أحضان كل السكان..."[21]

يرى مصالي الحاج أن الجزائريين كانت تربطهم علاقات ودية مع رائحة الأتراك في الجزائر من كراغلة وأنهم ظلوا متعايشين ولا يبرز الخلاف بينهم إلا في فترة الانتخابات، كما أن العائلات التلمسانية بالجزائر تداولت خبر نجاح الأتراك ضد اليونان وحملوا في محافظهم صور أبطال الحرب من بينهم مصطفى كمال وعصمت باشا وكانت هذه الصور محاطة بالزهور مرشوشة بالعطور، كما كانت المساجد تعج بدعوات المصليين لنصرة الأتراك في الحرب والأغاني كانت كلها عن حرب الأتراك في المقاهي وكان كل هذا تحت مرأى السلطات الفرنسية .[22]

1. السياسة الاستعمارية تجاه علاقة النخبة بالعثمانيين:

يذكر مصالي الحاج في مذكراته عن موقف فعله في أحد السهرات الغنائية بمقهى قريب من منزله بتلمسان وكانت أغاني الحرب التركية تعزفها الجوقة حين توقفت ودخل ضباط فرنسيون فعم الصمت الأرجاء وسرعان ما واصلوا مجددا العزف والغناء عن بطولات مصطفى كمال وكان مصالي لا يريد أن يلبث في مكانه دون فعل شيء فاستغل استراحة الجوقة ليصعد فوق طاولة فارغة ويصيح: " يحيا كمال باشا" وهذا عرَّض مصالي الحاج إلى محاولة اعتقال من عون الشرطة لكنه لم يفعل بسبب تدخل أصدقاء مصالي بأنه لم يفعل شيئا ولكن ذلك لم يمنع مصالي من أن يتم استدعائه بعد يومين من محافظ الشرطة ورغم أنه عرف كيف يواجه الشرطة بعدم التهور إلا أنه بعد اطلاق سراحه عاش متخوفا من هول تناقل الناس هذا الحدث واعجابهم به في أن يعرضه مجددا للاعتقال.[23]

وذكر توفيق المدني في مذكراته أن سجنه خلال الحرب العالمية الأولى، كان بسبب استجابته لنداء الجهاد الذي أعلنه الخليفة العثماني بداية الحرب، فقد حاول تنظيم انتفاضة مغاربية ضد فرنسا بالتنسيق مع جماعة من التونسيين منهم الصادق الرزقي.[24]

ثالثا الكتابات الصحفية:

كان للصحافة صوت قوي خلال القرن العشرين خاصة حيث استعملتها الدول الاستعمارية للدعاية وتلميع صورتها للرأي العام كما استعملتها الدول المستَعمَرَة للدفاع عن حقوقها وكشف الزيف وظل الصراع متواصلا بين الاستعمار والدول التي تريد التحرر بين منع حرية التعبير والفكر وبين منحه حسب الظروف، كما ولدت أفكارا جديدة خلال فسحة الكتابة في هذه الصحف وأثرت الحروب على قريحة الشعراء فولدت آلام مكتوبة وفي هذا المبحث سنتحدث عن ظروف الصحافة في الجزائر لكي نعالج في المطلب الثاني الكتابات الصحفية حول الخلافة العثمانية ونقدم نماذجا لمفكرين وكتّاب قدموا

آراءهم في مقالات تحتوي على نباهة سياسية حينا وبين غفلة وانصياعا لما يتم الترويج له من الاستعمار.

1. ظروف الصحافة الجزائرية مطلع القرن 20م:

كانت السياسة الفرنسية في ميدان الصحافة لا تختلف عن بقية سياسات فرنسا، فنلاحظ أن الجزائريين كانوا محرومين من قراءة الجرائد اليومية التي كانت تأتي إليهم بطريقة سرية ويطلعون عليها بتكتم شديدا بعيدا عن أعين الرقابة الفرنسية (دسوقي، 2011)، كما تصلهم من تونس والمغرب ولقد عبَّر أحد الكتاب عن طرق حصول الجزائريين على الصحف والجرائد قائلا: (لقد كان هناك مجرى سريّ ولكنه غزير ومتواصل من الصحف والمجلات الشرقية التي أعانت المغاربة في مجهوداتهم الاصلاحية وجعلتهم مرتبطين دائما بالرأي العام العربي)[25]، يقضي منشور جونار(Gunnar) 1908م بمنع الجزائريين من الحج إلى البقاع المقدسة بحجة انتشار مرض الطاعون في البقاع وهذه سياسة لمنع التأثر بالفكر المشرقي وقدوم صحفه[26]، هذا إلى جانب مطاردة العلماء والمثقفين، وإغلاق المدارس والمعاهد التعليمية، وتشريد القائمين عليها، عمل الاستعمار الفرنسي على رصد حركة الصحافة ومراقبتها وذلك في حال إصدارها وبالمقابل شجع الصحف التي كانت أبواقا له تزكيه وتباركه وكان بعض تلك الصحف يصدر باللغة الفرنسية كصحيفة الأخبار التي صدرت سنة 1893 م، ثم المبشر صدرت هي الأخرى سنة 1847 م، وبعضها يصدر باللغة العربية إلا أن توجهها استعماري.[27]

2. موقف المفكرين والكُتَّاب من الأحداث في الدولة العثمانية:

كما سبق الذكر فإن الفكر المتسرب لعقول الشباب القادم من الصحف المشرقية والحركة الفكرية من تأليف للكتب ونواد وجمعيات فإن الجزائر مطلع القرن العشرين برز لديها مفكرين وكتاب ينشرون وعيهم في الصحف رغم التضييق الاستعماري وكبح التعبير ومن بين هؤلاء:

2.1. عمر بن قدور[28]

وقد كان متأثرا بمعلميه أمثال عبد القادر المجاوي كما كانت أفكار عمر بن قدور امتدادا لأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده[29] الداعية للفكر الوحدوي عبر مجلة العروة الوثقى ومجلة المنار.[30]

وفي علاقة عمر بن قدور بالخلافة العثمانية يذكر الكاتب محمد ناصر[31] بأنه كان معجبا بفكر مصطفى كامل[32] ومواقفه ضد الاستعمار بل أن كلاهما يؤمن بفكرة الدولة العثمانية كقاعدة إسلامية كما أنه متأثر بفكر النهضة العربية وأحد أهم زعمائها: عبد الحميد الزهاوي.[33]

تفاعل عمر بن قدور كتابيا مع مختلف القضايا كالغزو الايطالي لليبيا ومعاهدة لوزان[34] حيث عبَّر عن أسفه وسخطه على هذا الوضع الذي آلت إليه الدولة العثمانية، فكان عمر محللا ومتفاعلا يكتب في الصحف: صحيفة الحضارة التركية والفاروق[35]

في مقال صحفي كتب عمر بن قدور مقالا في جريدة الحضارة التركية بعنوان: (مصيبة تركيا في عدم الاعتبار) والذي أعاد نشره في الفاروق قائلا: "كل مسلم في هذا الوقت أصبح رهين الغيظ الشديد، أسير الآلام من مصيبة تركيا بل مصيبة الإسلام... يتأسف كثيرون لهذا المصاب الجلل وهذه الضربة القاسية التي وقعت على عرش الخلافة الاسلامية وصيَّرته بذلك يندّك إلى الأسفل... هكذا قلتُ لتركيا مرَّات عديدة ووقفت معها عند باب كل مأزق تحاول أن تلجه موقف الناصح الأمين، مثلي ولا فخر في الشرق فئة قليلة وأما الغرب فيُعدون على الأصابع"[36] ،كما اختصر بن قدور أسباب ضعف الدولة العثمانية في مقالاته كالآتي:

- مجافاة المسلمين للعلوم والأخلاق وتعاليم دينهم والسعي وراء التفرقة والنكران.[37]
- اختلاف القوميات: الأتراك و العرب.
- الاختلاف العرقي واللغوي.

- صراع الشعوب الساكنة داخل الدولة ومطالبتهم بالانفصال وهنا نجد أن عمر بن قدور قد حذّر العثمانيين من درب الشقاق وحثهم على عدم السير في طريق الفرقة وأن يعدلوا ولا يظلموا حتى لا يتحولوا إلى عبرة للحضارات.[38]
- تمرد الشباب في طلب التمدن ويقصد شباب الاتحاد والترقي[39] والمزايدة في التودد لأوروبا كما بالغ حزب تركيا الفتاة [40] في محاكاة الأوربيين.[41]
- الخطر اليهودي وقد عبر عن هذا في مقال بعنوان: (بين الشدة واللين بأيهما نعمل؟) حمَّل فيه اليهود جزءا كبيرا من الذنب في مصائب العالم الاسلامي مستدلا بشواهد تاريخية كالأندلس. [42]

كان ثمن جرأة عمر بن قدور وممارسته لحرية التعبير في جريدته هو السجن خاصة بعد مقال تحدى به السلطات الفرنسية التي حذرته من نشره كونه يؤيد الدولة العثمانية والمحور ضد الحلفاء، لذلك قامت السلطات الفرنسية بمصادرة الجريدة وسجن ابن قدور في مدينة الجزائر ثم حوّل إلى عين ماضي (الأغواط).[43]

وليس عمر بن قدور لوحده من استشعر خطر اليهود بل هناك شخصية أخرى من الصحفيين الجزائريين الذين لهم وزنهم في الجزائر بسبب أفكاره وتحليلاته التي وصلت لاستنتاج القادم مبكرا، وهو:

2.2. عمر راسم[44]:

قد وجد عمر راسم متنفسا في الصحافة، وباشر بأول مقال له في الصحافة التونسية في جريدة "التقدم" بتاريخ 26 ديسمبر 1907م برسالة جريئة وجّهها للسطات العليا الفرنسية ضد سياسة الاستعمار، ثم كتب في جريدة المرشد، ثم أصدر جريدة "الإصلاح" وتوقفت بسبب الظروف المادية الصعبة ونجح في إصدار جريدة"الجزائر" بالعاصمة في 27 أكتوبر 1908، ولكنها اختفت بعد عددين فقط، توجه إلى مصر سنة 1912 ثم

أصدر مع عمر بن قدور جريدة "الفاروق" سنة 1913، ثم جريدة "ذو الفقار"[45] سنة 1913م التي توقفت بسبب الحرب العالمية الأولى.[46]

مع اقتراب اندلاع الحرب العالمية الأولى زُجَّ عمر راسم في السجن بتاريخ 06 أوت 1915م وحكم عليه بالنفي المؤبد بسجن بارباروس بتهمة التجسس لصالح العثمانيين[47]، ويجدر بالذكر أن عمر راسم هو أول من نبه لخطر الصهيونية في العالم العربي.[48]

كتب عمر راسم بمناسبة افتتاح جريدة ذو الفقار: (لما سمعنا الاسلام يئن طعنات أعدائه، والوطن ينادي بالويل والحسرة على أبنائه أنشأنا هذه الجريدة لمحاربة أعداء الدين وكشف أسرار المنافقين واظهار مكائد اليهود والمشركين للناس أجمعين وانتقاد أعمال المفسدين ومراقبتهم في جميع حركاتهم وسكناتهم)[49]

مقالا بعنوان: (تركيا واليهود 1916) يتضح فيه تعاطفه مع الدولة العثمانية كما كشف أعمال اليهود خلال عهد العثمانيين كاملا. [50] ونبَّه راسم من خطر اليهود قائلا: (إن بقيت دولة الخلافة تحت سلطة قراصو (Carasso) وهو ممن خلعوا عبد الحميد ورئيس حزب الاتحاد اليهودي جاويد وحقي باشا بائع طرابلس فلا شك أن تقع الدولة في مخالب اليهود) [51]

وفي وصف مدحت باشا (1884.1822م) قائلا: (هو ابن طائفة صهيونية، المنفذ لأحكامه، تلميذٌ للاتحاد الاسرائيلي العام) كما اعتبر السلطان العثماني محمد الخامس (1918.1909م) على أنه آلة يحركها اليهود واصفا إياه: (عملية محكمة الدس والاحتيال، فما هو إلا مرآة يحرفون بها أنظار المسلمين عن الصواب ويُذهبون الشك مما التفت نحوهم)[52]

نتيجة سياسية فرنسا من اقتراب الحرب العالمية الأولى أوقفت الصحف وزجت بالكثير من النخبة في السجن حال عمر راسم للتخلص من أي بلبلة يثيرونها بكتاباتهم ومن بين النخبة الذين تعرضوا للسجن بسبب مواقفهم تجاه الدولة العثمانية:

2.3. أحمد توفيق المدني[53]:

سُجن أحمد توفيق المدني في فيفري 1915م بتهمة الدعاية للدولة العثمانية عند اتصاله بخاله محمد بوزار بالأستانة وكتابته لموضوعات جريئة في جريدة الفاروق خاصة بعد مقال بعنوان: (بين لجج الهواجس) بتاريخ 27 فيفري 1914م حيث تساءل أحمد توفيق المدني عن سبب تدهور وضع الوطن والذي يقصد به الأمة الإسلامية جمعاء ثم حاول البحث عن وسائل لإنقاذ الوطن من الجهل والفساد، ولغة المقال تعيسة حيث أنه عبر عن حالهم بالشقاء والتعاسة وأعطى للوطن وصف المسكين ثم راح يذكر الأوضاع التي يعيشها المجتمع تلك الفترة قائلا: (إننا تركنا شعائرنا الدينية المطهرة... ونواميسها المحمدية الغراء...خالفنا عاداتنا القومية، تقليدا أعمى للتمدن الأوربي الحديث فأنت تجد الأغلبية من شبيبتنا المتنورة مرتدين ثيابا أوربية... يمرحون في الشوارع، وهم يتأبطون أذرع فتيات أجنبيات، نعم للأسف هذا ما استطعنا أن نقتبسه من التمدن الأوربي...أننا ضيعنا تاريخ آباءنا وأجدادنا، لغة ديننا الإسلامي ...)[54]

ثم اقترح توفيق المدني في ذات المقال مخارجا لهذه الأزمة:

- تعليم البنات وعلى المرأة أن تكون عارفة علوم الدين والعربية.
- تعليم اللغة العربية ونشرها في المدارس الخاصة والأهلية.
- احياء العلوم ونشرها بين كافة طبقات المجتمع
- ترك الكسل والاقبال على تعلم الصناعات[55]

كما وجدت السلطات الفرنسية منشورات معادية للحلفاء، صور لشخصيات عثمانية، مقالات انتقادية للإدارة الفرنسية.[56]

2.4. المولود بن الصديق الحافظي:

تفاعل "المولود الحافظي" مع أحداث العالم الإسلامي عامة و ت ركيا خاصة حيث استنكر فصل الكماليين للدين عن السياسة في 01 نوفمبر 1922 م، واعتبر ذلك عملا مزيفا من خلال مقاله"الدين والسياسة"[57].ثم تأثر من مسألة إلغاء الخلافة[58]، فكتب مقالا هاما في جريدة "النجاح" بعنوان: "حول الخلافة ونبذ الأتراك لشعارها"، ضمنه طرحا تحليليا عميقا لأبعاد الإلغاء وتأثيره على تركيا والعالم الإسلامي، نقتطف منه هذه الأفكار:

- أثر إلغاء الخلافة في العالم الإسلامي.
- تذكير الكماليين بقوة الروابط بين الأتراك والعرب وأن ما يجمعهم الإسلام.
- دعا الحافظي إلى بقاء الخلافة ترضية لمختلف الطوائف الدينية الإسلامية.
- التساؤل حول كيف للأتراك نسيان الماضي وما أبداه العرب المسلمون نحوهم.
- المقارنة بين تركيا التي قطعت وصالها بالخلافة وألمانيا التي تباركها الكنيسة الكبرى بروما.
- توعد الكماليين بأنهم سيعيشون الهزائم والخيبات مستقبلا.
- دعوة الجزائريين إلى تلبية نداء مؤتمر الخلافة وأن يمثله الجزائريون الموجودون بمصر.[59]

2.5. عبد الحفيظ بن الهاشمي[60]:

هو أكثر الكتاب الجزائريين اهتماما بالقضايا العثمانية، وما جري في البلاط الملكي بالآستانة من خلال جريدته "النجاح"[61] ويرى عبد الحفيظ من مصطفى كمال المنقذ الوحيد للأمة الإسلامية فهو البطل ومحل الثقة والخبير في السياسة وشؤون العسكر وهو من سيعيد شباب الدولة الإسلامية.[62]

برر عبد الحفيظ أفعال مصطفى كمال التي جاءت مثلا منع فرض الحجاب، منع التعدد، التساوي بين المواطنين مهما اختلف دينهم، كما طلب عبد الحفيظ من الكُتَّاب أن يقللوا هجماتهم على مصطفى كمال لأن دوافعهم تخدم الغرب والاستعمار قائلا: "...إن هذه النفثات التي لا تخلو من سياسة إنجليزية عملتها لتفرقة كلمة المسلمين".

أما رأي عبد الحفيظ في إلغاء الخلافة الإسلامية فكتب في جريدة النجاح في 14 مارس 1924م قائلا: " لا شغل ولا حديث اليوم بين المسلمين ...إلا على الحادث العظيم الذي حيَّر الألباب وكدَّر الخواطر وهو إبطال الخلافة"[63] كما حلل الوضع على أنه مساع إنجليزية لقطع الوصال بين الأتراك وباقي المسلمين ويقترح في مقاله تنصيب الملك حسين في منصف خليفة بالحجاز كما أنه حمَّل الكماليين أيضا مسؤولية إلغاء الخلافة ووصفهم بالطائشين الذين هدموا ركنا من الإسلام فتصدى عبد الحفيظ بكتاباته للكماليين بعد إلغائهم الخلافة لأن قيام جمهورية لا تنافي وجود خلافة فقال: "أليس بقاء المنصب الروحي من مبادئ الشعوب الأوربية"[64]

قدم عبد الحفيظ أسباب تأثر المسلمين بإلغاء الخلافة ملخصة كالتالي:

- إلغاء الخلافة كان مفاجئا ولم يكن تدريجيا
- نفي الأسرة العثمانية إلى سويسرا مس بشرف المسلمين خصوصا أن مجلس أنقرة حرمهم من كل أملاكهم وقذفهم في أوروبا للفقر والتشرد.

ولم يكن مسار عبد الحفيظ ابن الهاشمي واضحا فيمكن اعتبار رأيه بخصوص مصطفى كمال في البداية كآراء الكثير من الجزائريين والمسلمين الذين رأوا من مصطفى كمال المنقذ، وكرأي المسلمين حين تم إلغاء الخلافة فعبروا عن خيبتهم من مصطفى كمال لكن عودة عبد الحفيظ ابن الهاشمي إلى الكتابة عن مصطفى كمال وأن من حقه إلغاء الخلافة وأن هذا سيكتبه التاريخ بالذهب وأن الأمة الإسلامية مسؤولية المسلمين وهم من عليهم

تحمل تبعاتها، ونشر عبد الحفيظ في النجاح آراء مختلف الدعاة والمفكرين في العالم الإسلامي ودعا للالتفاف وراء ملك مصر أن يمثل الخلافة.[65]

2.6. عبد الحميد بن باديس[66]:

يرى الدكتور أحمد صاري أن الباحثون نادراً ما يعرجون لموقف بن باديس حول مسألة الخلافة حيث أن بن باديس عبَّر عن موقفه الصريح من الخلافة العثمانية.[67]

كتب بن باديس عشية إلغاء الخلافة مقالا بعنوان: (الفاجعة الكبرى) حيث عبَّر عن موقفه على أنه غضَّ بصره عن مفاسد الكماليين في السابق إلا أنه يمتعض لما حدث وما فعلوه بالخلافة وقد عبَّر عن رأيه قائلا: (قد زالت الخلافة بالمعنى الحقيقي والصوري فلنعلم من اليوم أنه لا خلافة، ولنرفض كل خليفة نشم فيه رائحة الأجنبي كائنا من كان، ولتعمل كل أمة مسلمة على النهوض بنفسها، إزاء التعارف والتعاضد على الحق مع أخواتها حسب الإمكان... مادام الإسلام ديننا وهو الرابطة العظمى التي تربطنا والجامعة الكبرى تجمعنا). [68]

ونستنتج من كلام بن باديس أن انتهاء الخلافة لا يعني نهاية الوحدة الاسلامية وصلة المسلمين وصلة المسلمين ببعضهم لأن الرابط بينهم هو الاسلام ويرفض من خلال ما قاله بن باديس أي خليفة له علاقة بالاستعمار.

توجَّه بن باديس سنة 1938 م إلى كتابة مقال آخر بعنوان: (الخلافة أم جماعة المسلمين؟) حيث اقترح بن باديس تغيير نظام الحكم من شخص واحد متمثلا في خليفة المسلمين إلى جماعة متمثلة في العلماء.[69]

كما كتب مقالا ثانيا في ذات سنة 1938م بعنوان: (مصطفى كمال رحمه الله) في مجلة الشهاب بعد أيام قليلة من وفاة مصطفى كمال فنجد بعد سقوط الخلافة بسنوات أن بن باديس أعادة اثارة موضوع سقوط الخلافة متسببا بمناسبة وفاة مصطفى كمال[70] كان هذا بعد البحث في تلك السنة عن الأحداث التي ربما قد أثرت في بن باديس مثل

تزامن توقيع الملك فاروق معاهدة مع بريطانيا ومباركة الأزهر له، وصدور مرسوم شوطون (Chautemps) في 08 مارس 1938م الذي يقضي بمنع اللغة العربية في الجزائر واعتبارها لغة أجنبية فيعتبر هذا أن الاستعمار يزداد شراسة اضافة إلى أحداث افريل في تونس التي أسقطت قتلى تونسيين.

اعتبر بن باديس أن سقوط الخلافة لا يعود إلى مصطفى كمال بل يعود إلى خليفة المسلمين حيث أنه شيّع الإسلام ومن معه من علماء الدين وشيوخ الطرق الصوفية والأمة الإسلامية الذين جعلوا من مصطفى كمال يتخذ قرار إلغاء الخلافة بعد أن سمع الخليفة لأوامر الإنجليز في شل حركة جنود الأناضول ونشر مناشير بالطائرات تحث السكان على مقاطعة الجنود بتشجيع من شيوخ الزوايا الذين صادقوا الإنجليز كما أباح العلماء دم كمال ونشر الفتوى عبر طائرات يونانية، أما الأمة الإسلامية فقد تحالفت وأشَّرت بالسلاح لوجه الخليفة.[71]

يرى بن باديس أن كمال ليس ضد الإسلام بل هو ضد الممارسات التي يمارسها زمرة من الذين المحسوبين على الإسلام فكمال ترجم القرآن كتاب المسلمين إلى التركية، كما أنه برر رفض مجلة الأحكام الشرعية من طرف كمال.[72]

كتب الباحث الجزائري في كتابه (الشعر الجزائري الحديث) أن موقف بن باديس من كمال متناقض مع مبادئه التي ينشرها في الجزائر[73]، يقصد الأفكار الإصلاحية ضد الفساد والخرافات وكل دخيل عن الدين الإسلامي حتى أنه خصص بابا كاملا في جريدة الشهاب[74] باسم (مجالس التذكير للتفسير والحديث)، وشخصية كمال تتناقض مع المبادئ التي يؤمن بها مصطفى كمال رغم تبرير أفعاله إلا أننا نجد بن باديس يركز على أصحاب الطرق الصوفية أكثر مما فعله مصطفى كمال في الخلافة.

رابعا كتابة القصائد للدولة العثمانية:

في هذا المبحث سيتم التطرق إلى فن من فنون الكتابة تميز بها خاصة من الناس وهو الشعر، والجزائر عرفت شعراء كثر ولم تخل الفترة الاستعمارية من وجود القصائد باللغة العربية أو الشعبية كتبها الشعراء لعدة أغراض كشعر الحماسة التي تلقى قبل الحروب، شعر الرثاء، المديح، الغنائي، الغزل، كما كان للشعراء قصائد سياسية كتبها أصحابها في زمن الحدث فتبرز لنا هذه القصائد الخلفيات الثقافية والفكرية للشاعر وتوثق أحداثا تاريخية بفن من فنون الأدب ونستذكر شعرا استعمله المؤرخين في تأريخ معركة طروادة وهو شعر الملحمة، إلياذة هوميروس.

قبل التطرق لبعض النماذج الشعرية حول الخلافة العثمانية لا يمكننا تخطي سياسة فرنسا حول حرية التعبير والفكر في المطلب الأول، أما في المطلب الثاني سنقدم نماذج من الشعر الجزائري عاصرت كتابات أحمد شوقي في المشرق.

1. سياسة فرنسا حول حرية التعبير والفكر:

منعت السلطة الاستعمارية الفرنسية بمقتضى قانون 1904م شرح الكتاب المقدس لدى المسلمين–كتاب القرآن . حيث أنه يتم الترخيص من الإدارة فقط بحفظه، كما يمنع تدريس التاريخ والجغرافيا وهذا لقطع أي انتماء حضاري وتاريخي للفرد الجزائري .

أما المكتبات العامة فكانت لديها قواعد لا تسمح لها أن تعير الوطنيين حتى الكتب الفرنسية التي تتحدث عن الحرية وآمال الشعوب.[75]

كما قدمت فرنسا مشروع ثقافي متمثل في راديو الجزائر ومجلة هنا الجزائر1952م كترسانة من الأقلام الجزائرية المأجورة حيث كان ظاهرها هو تعايش ثقافي بين الأدب الفرنسي والأدب الجزائري إلا أن المكتوب في هذه المجلة يتم تنقيته من أي أيديولوجيات تحررية أو انفصالية[76] ، فنجد أنه ليس هناك أي شاعر تحدث عن العثمانيين ونرجح أن هذا إما بسبب هذا المشروع الذي يرفض هكذا مواضيع أو أن الجزائريين في النصف الثاني من

القرن العشرين قد فقدوا الأمل بعودة العثمانيين أو أن هناك أحداث وأفكار جديدة أدت بالجزائريين إلى القناعة بأن الأنظمة الحالية لم تعد قائمة على توارث السلطة خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية حيث أعيد تشكل العالم.

2. استشعار الشعراء الخطر القادم للخلافة العثمانية:

ومن هؤلاء الشعراء الذين أحسوا بخطر سقوط الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة من جمعية وحزب الاتحاد والترقي:

2.1. محمد عبد الرحمن الديسي[77]:

عند خلع السلطان عبد الحميد كتب الشاعر محمد عبد الرحمن الديسي قصيدة يعبر فيها عن أساه سنة 1912م مما جاء فيها:

ثَنائي على عبد الحميد حميد وحزني عليه ما حيي جديـــــــد

وقال:

وحامي حمى الإسلام بالبيض والقنا وتدبير في المعضلات شديد

وقال:

فيـــــــا خالعيه خُلعتُم بخلعه قلـــوب جميع المسلمين فبيدوا

كما هجى عناصر الاتحاد والترقي قائلا:

تسميتم حزب الترقـــي سفاهـــة وضعكم للانحطاط بريدُ

وسلطانكم قد كان أكبر مصلح له عدة مرهونة، وعديدُ

ويبدو من خلال أبيات الشاعر من أنه كحال النخبة الجزائرية استشعروا الخطر الذي وصلت له الدولة العثمانية ورغم أن هناك من تفاءل لعناصر الاتحاد والترقي كونهم يقدمون أنفسهم على أنهم المنقذين والأبطال.

كما وصلت مشاعر الأسى أقصاها لدى الصحفي الجزائري الذي استشعر سقوط الخلافة وأسال حبر قلمه على عدة مقالات في الجرائد فكتب:

2.2. عمر بن قدور:

وجد عمر بن قدور من نظم الشعر عزاءه في حال أمته التي تساقطت دولها واحد تلو الأخرى فكتب عن سقوط البلقان :

قد أضرَم البلقان حرباً إنه — لتُراث قوم أهملوه وماتوا
أحواله تعنى ذويه وإنَّما — أحوالنا رزء ونحنُ جُناة[78]

كتب عمر بن قدور قصيدة أخرى بعنوان: (دمعة على الملة)

أيا قومي ما تحلو لقلبي حـــــياة — وقد دوخ (السمحاء) هوا فنــاها
بكائي عليها لا على الخل والحمى — وخــــــوفي عليها لا أريد سواها
أضيعت فضاع المجد منا ولم نكن — شـــــدادا وقد هم القضاء لقاها
ولما غدت بين اللئام غريبة — أهينت بعيث الخائنين فواها؟[79]

خاتمة:

تعتبر كتابات النخبة الجزائرية كتابات هامة ذات وزن ثقافي وتاريخي وفلسفي ففي مطلع القرن العشرين نشطوا كتابيا لنبذ ظلم التجنيد الإجباري والسياسات الظالمة وأسالوا الحبر على مختلف القضايا العربية والإسلامية من بينها إلغاء الخلافة العثمانية وبعد دراسة نماذج من كتابات الجزائريين حول إلغاء الخلافة العثمانية نتوصل إلى النتائج التالية:

- واكب الجزائريون أحداث العالم الإسلامي وأكدوا تضامنهم مع المسلمين في جميع الأزمات، وخاصة تجاه مسألة إلغاء الخلافة العثمانية، رغم انقطاع العلاقة الرسمية بين الآستانة والجزائر منذ 1830 م ، إلا أن تيار الرابطة العثمانية بقي مستمرا وكما شَعر مسلمو العالم بالخيبة والأسى بعد إلغاء الخلافة، كذلك تألم الجزائريون من وضع الخلافة ورموزها.

- واكبت الصحافة الجزائرية بمختلف تياراتها وتوجهاتها، تطورات الخلافة وأصداءها، منذ خلع السلطان "عبد الحميد الثاني" حتى إلغاءها سنة 1924.

- كتب بعض النخبة مذكراتهم الشخصية ويومياتهم ونشروها بعد سنوات إلا أن هذا يثبت وعيهم بأهمية هذا النوع من الكتابة بالنسبة للتاريخ وقد قدمت لنا مذكرات مصالي الحاج وأحمد توفيق المدني مشاعر الجزائريين تجاه الأتراك ومصطفى كمال.

- كان لليهود وخاصة "يهود الدونمة"، دورا بارزا في القضاء على الخلافة العثمانية، سواء بنفوذهم المالي أو بواسطة أعوانهم و الوصول إلى أهدافهم بإزاحة من وقف أمامهم، وفي مقدمتهم الخليفة "عبد الحميد الثاني". مما مهد لهم الطريق إلى تنفيذ أهداف الحركة الصهيونية العالمية وهو ما تنبأ به الكاتب الجزائري عمر راسم وكذلك عمر بن قدور قبل أن يقام الكيان الصهيوني كدولة يهودية سنة 1948م في فلسطين.

- تأثر المسلمين عامة والجزائريين خاصة بشخصية مصطفى كمال وهو ما نلمسه في مذكرات مصالي الحاج وأحمد توفيق المدني ومقال عبد الحميد بن باديس و عبد الحفيظ ابن الهاشمي حيث اعتبروه بطلا من أبطال العالم الإسلامي، ومنقذا من قبضة الاستعمار خصوصا بعد الحرب اليونانية التركية وفوز مصطفى كمال.

- تميز الخلفية الثقافية التاريخية للكتاب الجزائريين فنجد في مقالاتهم تحاليل سياسية كمقالات عمر بن قدور، عمر راسم، أحمد توفيق المدني... من خلال مقارنتهم لأحداث تاريخية ماضية والوضع الحالي كسقوط الأندلس مثلا واعتبار إلغاء السلطة الروحية للمسلمين وأخذ نظام أوربي للحكم السياسي هو غباء من الكماليين لأن الأوربيين لم يقطعوا وصالهم مع سلطة الكنيسة ومباركتها وهذا ما عبَّر عنه عبد الحفيظ ابن الهاشمي.

- تسبب إلغاء الخلافة في ظهور معارك أدبية، على صفحات الصحف، بعضها يؤيد سياسة الكماليين والآخر يعارض إلغائها، ونفسر هذا الخلاف على أنه يوحي باختلاف التيارات وتعدد الآراء وتناطحها في صفحات الجرائد.

- تجاوبت شعوب العالم الإسلامي مع حدث الخلافة المؤلم كذلك الكتابات الجزائرية مبرزة تضامنها الإسلامي، بقدر ما توفر لها من وسائل وإمكانات وظروف ملائمة.

- تعرض الجزائريون إلى الرقابة الشديدة من الاستعمار الفرنسي فتطلب منهم التحلي بالمرونة في الكتابة خاصة القضايا السياسية كمسألة إلغاء الخلافة.

- كان للشعر نصيبا في كتابة الجزائريين ومن خلال النماذج التي عرضناها: مقطع من قصيدة الشاعر محمد عبد الرحمن الديسي وعمر بن قدور فإننا نلمس الامتعاض والشعور بالأسى عما يحصل في8 الدولة الإسلامية وأنهم لم يتفاءلوا بسرعة وصول مصطفى كمال وجماعته منذ البداية.

- العديد من الشخصيات التي عرضناها قد تم التعرف عليها في قضايا وطنية أو مغاربية لكن هذا المقال قام بإنارة جانب آخر من كتابات الجزائريين فهم كتبوا رغم سياسة قتل الحرية ومحاربة الفكر ومشاريع ثقافية قام بالتنظير لها أهم المفكرين الفرنسيين لسلخ الجزائري عن أي انتماء روحي أو وطني وغيره.

وفي الأخير نخلص أن النخبة الجزائرية قد تفاعلت مع إلغاء الخلافة العثمانية منذ أن كانت مجرد حدس سياسي أي قبل إلغائها وأن زوال آخر رائحة للدولة العثمانية وهي الخلافة العثمانية وكان لصدى إلغائها وقع أليم على المسلمين عامة والجزائريين خاصة حيث أنه مرت قرون من تواجد العثمانيين في العالم رغم تضارب الآراء حولهم خاصة في السنوات الأخيرة لهم حيث أدى ضعفها إلى سقوط معظم الدول العربية في أياد الاستعمار إلا أن زوالها أدى إلى الشعور باليتم للكثير من المسلمين فكان العزاء هو بالكتابة عنها في مقالات وقصائد وكتب وهذا المقال يمكنه أن يمتد في البحث أكثر في كتابات الجزائريين حول إلغاء الخلافة خاصة أننا لم نتطرق إلى الكتب والعديد من المقالات.

الهوامش:

[1] الرجل المريض مصطلح أطلقه قيصر روسيا نيكولاي الأول على الدولة العثمانية سنة 1853 م. أنظر: فريد صلاح الهاشمي، **تركيا في ضوء الحقائق**، دار العبر للطباعة والنشر، اسطامبول/تركيا، 2014، ص 136.

[2] قن محمد، (2007)، **الخلافة العثمانية وصدى سقوطها في الجزائر ومصر 1924.1876**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، ص ص 180.174.

[3] نفسه، ص185.

[4] نفسه، ص193.

[5]**عبد المجيد الثاني**: الخليفة عبد المجيد الثاني بن عبد العزيز الأول، ولد في 29 مايو 1868 في إسطنبول كان الخليفة العثماني الأخير، تولى الخلافة من 19 نوفمبر 1922 حتى 3 مارس 1924م وقد كان عبد المجيد الثاني لم يكن يحمل لقب "سلطان". ألغيت السلطنة العثمانية في 1 نوفمبر 1922. وفي نفس اليوم، جعل البرلمان التركي الخليفة شخصية رمزية عينها البرلمان من بين أمراء السلالة العثمانية. وانتخب عبد المجيد الثاني "خليفة المسلمين" في 19 نوفمبر 1922. استمر مكتب الخلافة العثمانية في الوجود لفترة في إسطنبول تحت رعاية الجمهورية التركية. وألغيت الخلافة العثمانية في 3 مارس 1924.

[6]الأمير عبد القادر الجزائري ، **الديوان** ، تح وشروتع زكريا صيام، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1988، ص ص 256.251.

[7] قن محمد، المرجع السابق، ص 209.

[8]الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 293.

[9] أجرون شارل روبير، **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871 – 1919** ، ج 2، تر: م. حاج مسعود ع. بلعريبي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص846.

[10] عبد القادر قوبع، **التضامن الأهلي مع الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، الجزائر، مج13، ع1، 2020، ص 825.

[11] فاتح رجب قدارة ، **التأريخ للأحداث المعاصرة من خلال المذكرات والشهادات الشخصية الأهمية والمحاذير البحثية**، مجلة أسطور، ع6، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ليبيا، جويلية،2017، ص82.

[12]**سانت أوغسطين**: ولد في 13 نوفمبر 305 م في الجزائر بتاغسطا، سوق أهراس حاليا، حرص والداه على تعليمه صغيرا واستمر حتى وصل لمعهد مادورا المشهور، وتوقف بسبب الفقر لرحلة قرطاج وعاش فراغه في اللهو حتى عاد إلى الجامعة ودرس المحاماة رغم أنه لم يحبها وبعد مدة أصبح معلما للخطابة وفن الكلام، صاحب كتاب مدينة الله، وكتاب اعترافات وكتب أخرى يصل مجموعها ثلاثة عشرة كتاب، أنظر:سانت أوغسطين، **اعترافات القديس أوغسطينوس**، تر الخوري يوحنا الحلو، ط4، المكتبة الشرقية، بيروت، 1991، ص ص 05.03.

[13]نفسه، ص 05.

[14]علي غنابزية، **القيمة التارخية للمذكرات الشخصية في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية،** مجلة مصادر الجزائر المعاصرة، الجزائر، مج 17، ع1، 2019، ص122.

[15]نفسه، ص 125.

[16] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح . مذكرات في تونس 1925.1905**، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 30.

[17] نفسه، ص31.

[18] نفسه، ص328.

[19] نفسه ، ص326.

[20] نفسه، ص329.

[21] مصالي الحاج، **مذكرات مصالي الحاج بين 1938.1898**، تر: محمد المعراجي، منشورات ANEP، 2007، ص98.

[22] نفسه، ص 99.

[23] نفسه، ص 100.

[24]أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص73.

[25] محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص8.

[26]بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830. 1989**، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص226.

[27]محمد ناصر، المرجع السابق، ص8.

[28]**عمر بن قدور**: من رواد الصحافة الوطنية في الجزائر، من المتحمسين للقومية الاسلامية ولد بالعاصمة وتوفي بها، أنظر: محمد ناصر، الصحف العربية من 1847م إلى 1939م، المرجع السابق، ص 36.

[29] اعتبر الشيخ "محمد عبده" الولاء للدولة العثمانية، والمحافظة على كيانها، جزءا من العقيدة الإسلامية، فقال سنة (1886 م):"إن المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله، فإنها وحدها المحافظة لسلطان الدين، الكافلة لبقاء حوزته

وليس للدين سلطان في سواها، وإنا والحمد لله على هذه العقيدة نحيا وعليها نموت ..." ، **أنظر**: محمد محمد حسين، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**،ج1 ،ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ص64.

[30] مولود قرين، **قضايا الدولة العثمانية في اهتمامات الشيخ عمر بن قدور الجزائري،** مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائرية، مج 13، ع13، جانفي 2021، ص177.

[31] **محمد ناصر**: لناقد الدكتور محمد صالح ناصر المولود بالقرارة بمزاب (غرداية) في الجزائر في عام 1938م، فهو شخصية قل أن يجود الزمان بمثلها، إنه الأديب والشاعر، والمفكر والمؤرخ والمفسر والناقد والمحقق في آن واحد، نظم

الشعر منذ نعومة أظافره بعد أن حفظ كتاب الله العزيز واستظهره بالمسجد الكبير بالقرارة سنة 1954م، اشتغل أستاذا بالجامعة الجزائرية، وقام بتدريس مقاييس تتعلق بالأدب والنقد مثل: الأدب الجاهلي، الأدب الإسلامي، والأدب العباسي، والأدب الجزائري الحديث، التيارات الأدبية الحديثة، وهو أحد أقطاب جيل الستينيات في النقد الجزائري الحديث، فقد أثرى المكتبة الجزائرية والعربية بالعديد من المؤلفات في الأدب والنقد أهمها: كتاب الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925–1975م)- كتاب المقالة الصحفية الجزائرية (1931.1903)، حداثة أم ردة. **أنظر**: حليمة عزيز، **المنهج التاريخي عند محمد ناصر من خلال كتابة الشعر الجزائري الحديث . اتجاهاته وخصائصه الفنية**، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج13، ع3، الجزائر، 2021/11/04، ص621.

[32] **مصطفى كامل(1908.1874م)**: ولد مصطفى كامل بمدينة القاهرة يوم 14 أوت 1874 ، وهو ابن علي أفندي محمد أحد خيار المهندسين الضباط، وقد بدأ مصطفى حياته الصحفية وهو في مدرسة الحقوق، إذ أصدر مجلة المدرسة في فيفري 1893 ، كما أسس جريدة يومية تحت اسم اللواء، وسرعانما اختطفه الموت في فيفري 1908 وهو في الأربعة والثلاثين من العمر. أنظر: عبد الرحمان الرفاعي، **مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية**، ط 3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950 ، ص 18.

[33] محمد ناصر، **رائد الدعوة إلى التضامن الاسلامي عمر بن قدور الجزائري**، الأصالة، الجزائر، جوان . جويلية 1970، ص ص 63 . 64.

[34] **معاهدة أوشي لوزان 15– 10– 1912م**: انقسم المؤرخون بين ما اعتبرها حتمية وبين من اعتبرها معاهدة تسليم العثمانيين ليبيا لإيطاليا وتمت المعاهدة في مدينة لوزان السويسرية وحوت المعاهدة على 11 بند. أنظر: محمد علي داهش، **دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي**، منشورات اتحاد الكتاب العربي،دمشق،2004م، ص97.

[35] **جريدة الفاروق(1915.1913م)**: جريدة عربية جزائرية أسبوعية أصدرها عمر بن قدور في فيفري1912 بالجزائر، كان شعارها: قلمي لساني ثلاثة بفؤادي***ديني ووجداني وحب بلادي، أنظر: محمد ناصر، المرجع السابق، ص 36.

[36] عمر بن قدور، **بين الشدة واللين بأيهما نعمل؟**، الفاروق، الجزائر، ع 12، 05 ماي 1913.

[37] مولود قرين، المرجع السابق، ص 180.

[38] نفسه، ص 181.

[39] **الاتحاد والترقي**: جمعية سرية وحزب سياسي، تأسست في حوالي عام 1890، قام المنتسبون إليها خصوصا الضباط منهم بالانقلاب الدستوري سنة 1908م، حكم زعمائها الدولة العثمانية خلال سنوات الحرب العالمية الأولى. أنظر: محمد روحي الخالدي، **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**، تق: خالد زيادة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2019، ص27.

[40] **تركيا الفتاة**: هي حركة إصلاح سياسية في أوائل القرن العشرين أرادت استبدال الملكية المطلقة للسلطنة العثمانية بحكومة دستورية. وقادوا تمردًا ضد الحكم المطلق للسلطان عبد الحميد الثاني سنة 1908، وبعد تلك الثورة، ساهم حزب تركيا الفتاة في تأسيس عصر المشروطية الثانية 1908، مما أدى إلى دخول حقبة ديمقراطية متعددة الأحزاب لأول مرة في تاريخ البلاد. أنظر: روحي الخالدي، **الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**، دار هنداوي، المملكة المتحدة، 2014، ص ص2722.

[41] مولود قرين، المرجع السابق، ص 178.

[42] عمر بن قدور، **بين الشدة واللين بأيهما نعمل؟**، المصدر السابق.

[43] عبد القادر قوبع، المرجع السابق، ص 838.

[44] **عمر راسم(1959.1883م)**: صحفي وخطاط جزائري ورسام في فن النمنمات، من عائلة فنية، حافظ للقرآن، ودرس في المدارس العربية وتعلم اللغة الفرنسية ويعتبر من أوائل المتأثرين بمحمد عبده وأفكاره الإصلاحية. أنظر: مفدي زكريا، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، تح: محمد حمدي، مؤسسة مفدى زكريا، الجزائر، 2003 م، ص 58.

[45] **جريدة ذو الفقار(1914.1913م)**: اسمها مستوحى من سيف الامام علي بن أبي طالب، صاحبها عمر راسم الذي تكفل بالكتابة فيها باسم مستعار هو ابن المنصور الصنهاجي كما تكفل بتحريرها ورسم صورها وإخراجها وطباعتها وتعد هذه العمليات لشخص واحد وقعت لأول مرة في تاريخ الجرائد العربية. أنظر: محمد ناصر، **الصحف العربية من 1939.1847**، المرجع السابق، ص 38.

[46] علي غنابزية، **قراءة في مقال الصحفي الجزائري عمر راسم في الرد على الشيخ محمد رشيد رضا سنة 1914 حول الدولة اليهودية**، يوم دراسي بعنوان: النخبة الجزائرية وقضية فلسطين 1930. 1956، الوادي، 2020، الجزائر، 10:30 صباحا.

[47] Agéron, Charles Robert, **l'Algérie Algérienne de Napoléon III à De Gaule**, la Bibliothèque Arabe, Paris, 1980, p 106.

[48] صالح خرفي، **الجزائر والأصالة الثورية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص 34.

[49] محمد ناصر، **الصحف العربية من 1847م إلى 1939م**، المرجع السابق، ص 40، نقلا عن ذو الفقار، ع1، 15 فيفري 1913م.

[50] محمد قن، المرجع السابق، ص 215.

[51] صالح خرفي، **الجزائر والأصالة الثورية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، المرجع السابق، ص36.

[52] محمد ناصر، **عمر راسم المصلح الثائر**، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1984، ص41.

[53] **أحمد توفيق المدني**:

[54] أحمد توفيق المدني،المصدر نفسه، ص 79.

[55] نفسه، ص 80.

[56] محمد قن، المرجع السابق، ص217.

[57] محمد الصالح آيت علجت، ،**المولود بن الصديق الحافظي**، حياته وآثاره، تق: محمد الشريف قاهر، منشورات دار الكتب، الجزائر، 1998، ص124.

[58] نفسه، ص 127

[59]قن محمد، (2007)، الخلافة العثمانية وصدى سقوطها في الجزائر ومصر 1924.1876، المرجع السابق، ص ص 240239.

[60] **عبد الحفيظ بن الهاشمي**: :ابن علي بن عمر ولد في 1895 بطولقة، جده شيخ زاوية طولقة، درس بالزاوية ثم سافر لتونس 1911 ، وعاد في نهاية 1919 ، من أبرز أعماله جريدة "النجاح" التي أسسها بقسنطينة في 1919 . بدأت دورية ثم يومية منذ 1930 ، تقلد عدة مناصب قضائية وتعليمية. أنظر: محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية**، المرجع السابق، ص 219.

[61] **جريدة النجاح** (**1956.1919م**): أصدرها عبد الحفيظ بن الهاشمي بقسنطينة وهي أول محاولة لظهور الصحافة العربية بعد الحرب العالمية الأولى وساعد في تأسيسها عبد الحميد بن باديس لكنه تخلى عنها نظرا لاختلاف المسار بينه وبين الجريدة، هي من أطول الجرائد العربية عمرا في الجزائر فترة الاستعمار وتعد أحسنها إخراجا أيضا، لم يكن مبدأ جريدة النجاح واضحا فلقدكان مسارها مراوغا فالطيب العقبي اعتبرها مُسَيّرة محاربة للأمة وهدفها الجيب وليس المبدأ. أنظر: محمد ناصر، **الصحف العربية من 1847م إلى 1939م**، المرجع السابق، ص 45.

[62]قن محمد، (2007)، **الخلافة العثمانية وصدى سقوطها في الجزائر ومصر 1924.1876**، المرجع السابق، ص 227.

[63] نفسه، ص 229، نقلا عن: ابن الهاشمي، "**حول إبطال الخلافة الإسلامية**" ،النجاح ،عدد 150، 14 مارس 1924م، السنة الخامسة، ص1

[64] نفسه، 230.

[65] نفسه، ص 231.

[66] **عبد الحميد بن باديس:** ولد ابن باديس في ديسمبر 1889 م من أسرة قسنطينية عريقة يمتد نسبها إلى أسرة مالكة هي أسرة المعز الصنهاجي حيث تعاملت أسرته مع الإدارة الاستعمارية فقدكان أبوه محمد المصطفى عضوا في المجلس الأعلى للجزائر، أتم ابن باديس حفظ القرآن في السنة الثالثة عشر من عمره ثم تحول بعد ذلك إلى جامع الزيتونة حيث درس من عام 1908 م إلى عام 1912، وخلال دراسته بتونس قد اتصل ببعض رواد الفكر العربي والإسلامي الإصلاحي ولذلك فكر في القيام برحلة إلى المشرق العربي وعلى الرغم من تأثره المؤكد بمدارس الإصلاح الديني في المشرق استطاع أن يقدم إضافات مهمة إلى الفكر الإصلاحي.
أنظر: محمد الميلي، **ابن باديس وعروبة الجزائر**، الجزائر، 2007 ، ص ص 9 – 11.

[67] أحمد صاري، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصرة**، المطبعة العربية، غرداية/ الجزائر، 2004، ص148.

[68]محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903. 1931**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص178.

[69] أحمد صاري، المرجع السابق، ص 148.

[70] نفسه، ص 149.

[71] نفسه، ص 150.

[72] أحمد صاري، المرجع السابق، 148.

[73]صالح خرفي، **الشعر الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص64.

[74]**الشهاب(1939.1925م)**: جاءت بعد تعطيل جريدة المنتقد، جريدة أسبوعية لمؤسسها عبد الحميد بن باديس وقد كانت أكثر مرونة من سابقتها تسايرا مع سياسة الاحتلال. محمد ناصر، الصحف العربية من 1939.1847م، المرجع السابق، ص59.

[75] ناهد إبراهيم دسوقي، **دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011، ص59.

[76] عبد الله حمادي، **ديوان مجلة هنا الجزائر 1960.1952م**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، البليدة/ الجزائر، 2020، ص 08.

[77] **محمد بن محمد بن عبد الرحمن الديسي(1921.1854م)**: الجزائري نسبة الى عين الديس قرب بوسعادة بمدينة المسيلة في الجزائ،ولد سنة 1854 ونشأ وترعرع بمسقط رأسه يتيما فأدخلته والدته الكتّاب حتى حفظ القرآن الكريم وأتقن احكامه على القراءات السبع وأخذ شيئا من مبادىء العربية ثم انتقل إلى زاوية ابن أبي داود بمنطقة زواوة فمكث بها حتى رسخت قدمه في علوم العربية والفقه والفلك، حتى أجازه علماؤها وأذنوا له في التدريس وقد ذكر عنه تلميذه أبو القاسم الحفناوي في ت رجمته أنه كان يحفظ نحو خمسين متنا في مختلف الفنون وأفرده بالترجمة بعض اهل العلم. له ما يزيد من 32 مصنفا توفي سنة 1921م، أنظر: محمد زيوش، **شعرية المحاورة والمحاججة في مقامة عبد الرحمن الديسي. مناظرة بين العلم والجهل**، مجلة أدبيات، الجزائر، مج1، ع2، ديسمبر 2019، ص69.

[78] عمر قدور، **حرب البلقان**، الفاروق، الجزائر، ع20، 11 جويلية 1913م.

[79] محمد صالح الجابري، **الأدب الجزائري في تونس**، ج2،المكتبة الثقافية المغاربية ببيت الحكمة، قرطاج/تونس، 1991م، ص 337. نقلا عن: عمر بن قدور، **دمعة على الملة**، جريدة المشير، 01 جانفي 1911.